جامع السيدة نفيسة رضي الله عنها بحي الخليفة بالقاهرة

1314 هـ / 1896 م

إعداد

أ.د/ مجدى عبد الجواد علوان عثمان

أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية
وكيل كلية الآداب – جامعة أسيوط

أجمع المؤرخون على صحة تشريف السيدة نفيسة رضي الله عنها أرض مصر ، ودفنها في هذا المشهد ، فهو يقينا أصح المشاهد ، وهو مشهد يغمره النور ، محفوف بالوقار والجلال مشتهر بإجابة الدعاء ، ومقرب لقلوب الناس .

ترجمة السيدة نفيسة : السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، ولدت بمكة المشرفة سنة (145 هـ / 762م) ونشأت في المدينة بالعبادة والزهادة تصوم النهار وتقوم الليل ، وكانت ملازمة لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لا تفارقه ، زوجها هو اسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسينبن على بن أبى طالب ، كان يقال له اسحاق المؤتمن ، اشتهر بالصلاح والخير والفضل والدين ، كانت السيدة نفيسة رضى الله عنها من الصلاح والزهد على الحد الذى لا مزيد عليه فيقال أنها حجت ثلاثين مرة وكانت كثيرة البكاء مستديمة في قيام الليل وصيام النهار، كان قدومها هى وزوجها لمصر لخمس بقين من شهر رمضان سنة (193هـ / 809م) وقيل سنة (196هـ / 811م) بعد زيارتها لقبر الخليل إبراهيم وبيت المقدس الشريف وكان لقدومها لمصر أمر عظيم حيث استقبلها الرجال والنساء بالهوادج من العريش ولم يزالوا حتى دخلت مصر فأنزلها عنده كبير التجار بمصر آنذاك وهو جمال الدين عبد الله بن الحصاص وكان من أصحاب البر والصدقة والمحبة في الصالحين والعلماء والسادة الأشراف فنزلت عنده في دار له فأقامت بها عدة شهور والناس يأتون إليها من سائر الآفاق يتبركون بزيارتها ودعائها.

ثم لما ضاق عليها المكان وعن جموع الوافدين إليها اشتكت ، فهيأ لها الأمير عبد الله بن السرى بن الحكم والى مصر في خلافة المأمون دارًا كانت لأبى جعفر خالد بن هارون السلمى فوهبها لها.

ذكر أن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان يزورها هو وأصحابه وهى من وراء حجاب ، وكان يصلى بها التراويح في مسجدها في رمضان وكان يأتى إليها ويسألها الدعاء.

أجمع أهل السير والتاريخ على وفاتها بمصر القاهرة بخلاف غيرها من الشريفات العلويات حتى إن بعضهم يسميها نفيسة المصرية ، توفيت رضى الله عنها في شهر رمضان سنة (208هـ / 823م) وهى صائمة ، ودفنت في منزلها الذى وهبها إياه السرى بن الحكم ، وهو الموضع الذى به قبرها الآن يعرف بخط درب السباع وبدرب بذرب ، ولما ماتت أراد زوجها أن يحملها ليدفنها في المدينة فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم ففعل ، وكان يوم دفنها يومًا مشهودًا ، أتوها الناس من البلاد والنواحى يصلون عليها بعد دفنها وأوقدت الشموع وقد زار قبرها من العلماء والصالحين خلق كثير لا يحصى عددهم ، وقبرها معروف بإجابة الدعاء عنده ، وهو مجرب رضى الله عنها.

عمارة المشهد النفيسى

ذكر المقريزى في خططه ، والسخاوى في تحفة الأحباب ، أن أول من عمر وبنى على قبر السيدة نفيسة هو الأمير عبيد الله بن السرى بن الحكم والى مصر ، ثم أجريت له إبان العصر الفاطمى عمارتان ، الأولى في عصر أمير الجيوش بدر الدين الجمالى وكانت سنة (482هـ / 1089م) والثانية في سنة (532هـ / 1137م) حيث جدد القبة وكسا المحراب بالرخام الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله ، ثم توالت العمارات على المشهد ، ففي عصر المماليك البحرية أنشأ السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (714هـ /1314م) جامعًا بالمشهد صرف على عمارته من حاصل المشهد وما يدخل إليه من النذور من الفتوح ، وصار الناس يتقربون إلى المشهد بالبناء حوله ، وقد زار الرحالة المغربى خالد بن عيسى البلوى ووصف هذا الجامع وصفًا فنيًا دقيقًا.

وخلال العصر العثمانى ، جدد الأمير عبد الرحمن كتخدا المشهد ، فكسا باب القبة بالقيشانى ، وأنشأ مسجدًا ألحق به سبيل وعمل حجابًا لزيارة النساء بخلاف طريق الرجال ، وكان تاريخ هذه العمارة سنة (1173هـ / 1759م)، وفي سنة (1266هـ / 1850م) عملت مقصورة من النحاس حول الضريح أمر بعملها عباس باشا الأول . وفي عام (1314هـ / 1896م) أمر بإنشاء المسجد الحالى وهو عليه الآن الخديوى عباس حلمى الثانى سجل ذلك في كتابة تأسيسة على عتب المدخل الرئيسى بالواجهة الشمالية الغربية ، وعلى عتب المدخل الشمالى الشرقى ، وكذلك في حشوة تاريخ تعلو باب الروضة الأيمن للمنبر وسيلى توصيف ذلك ، وتمت هذه العمارة الشاملة بإشراف ديوان الأوقاف.

الموقع : عُرف موضع مسجد المشهد النفيسى قديمًا باسم خط درب السباع ، وبدرب بزرب ، وهو الآن بنهاية شارع الخليفة من ناحية طريق صلاح سالم بحى الخليفة جنوب القاهرة ، وبهذا الشارع مشاهد وقبور عديد من السادة الأشراف حتى أنه يعرف باسم شارع الأشراف منهم مشهد السيدة سكينة رضى الله عنها ، ومشهد السيدة رقية ، وقبر السيدة عاتكة بنت زيد ، وقبر السيد على الجعفرى وغيرهم.

الزيادة الحديثة :

أدخل المسجد ضمن زيادة وتوسعة حديثة قامت بها وزارة الأوقاف ، اشتملت على مسجد آخر مجاور للمسجد العباسى يفصل بينهما جدار الواجهة الجنوبية الغربية التى أصبحت داخل المسجد الحديث ، كما أضيفت ميضاة حديثة ، ودار مناسبات ، وقاعة استقبال مركزية تغطيها قبة كبيرة يتقدمها صحن مكشوف فرشت أرضيته بالرخام البديع ، واشتملت تلك الزيادة على مئذنة مماثلة للمنارة الأصلية وتحتل الركن الغربى من الزيادة ، وبنيت على غرار المآذن المملوكية .

الوصف المعمارى للمسجد :

للمسجد أربع واجهات ، اثنتان منهم منتظمتان هما الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية ، وواجهة بها انحراف شديد مائل في جداريها وهى الواجهة الشمالية الغربية وواجهة أخرى مستقيمة وهى الجنوبية الشرقية وبها القبة الضريحية وتطل مباشرة على قرافة السيدة نفيسة .

سجل على عتب المدخا الرئيسي نص إنشاء المسجد في كتابة بخط الثلث المملوكى البارز نصها : ((أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك خديو مصر عباس حلمى الثانى الأفخم أدام الله أيامه سنة 1314 هـ)) .

والتخطيط العام للمسجد عبارة عن مستطيل أبعاده 39.20 × 36م ، تبلغ مساحته الكلية 1411.20م^2 ، وهو غير منتظم الأضلاع ، حيث صمم ضلعه الشمالى الغربى على هيئة مثلث مقلوب رأسه نحو الخارج ، يمثل أحد أضلاعه وهو الضلع الغربى القسم الغربى من الواجهة الرئيسية ، ويمثل الضلع الآخر القسم الشمالى من الواجهة بينما خصص الضلع الجنوبى الشرقى لوضع القبة لحجرة مجلس الحريم تتقدمها وممر خلف جدار القبلة يفضى في نهايته إلى الضريح .

أما التخطيط الداخلى فهو عبارة عن مستطيل منتظم الأضلاع أبعاده 22.5 × 18.20م ، ومساحته 409.5م^2 ، ينقسم إلى أربعة أروقة قسمت بواسطة ثلاث بائكات ، كل بائكة تحتوى على خمسة عقود مدببة تتكئ أرجلها على أربعة أعمدة رخامية وتسير اتجاهاتها موازية لجدار القبلة ، يعد الرواق الثانى مما يلى القبلة هو أوسع هذه الأروقة ويفتح عليه بابان محوريان ، ويتوسطه بلاطة مربعة تغطيها شخشيخة مثمنة ، يقع خلف الرواق البحرى إيوان عمقه 5م واتساعه 4.40م تعلوه مقصورة أو مصلى للسيدات ، ويقع المدخل الرئيسى في أقصى الطرف الغربى لهذا الرواق .

أما رواق القبلة فيبلغ عمقه 4.20م يتوسط جدار حنية المحراب ، ويقع خلفه مباشرة استطراق طوله 18م وعرضه 3.15م يفضى في نهايته تجاه الشرق إلى القبة الضريحية حيث الإيوان يتقدم المقصورة .

ويمتاز تخطيط المسجد بالتماثل حيث يوجد به أبواب ونوافذ محورية ، وقد نشأ عن الانحراف الخارجي للواجهة الشمالية الغربية والانتظام الداخلى لتخطيط المسجد وجود بعض المساحات خصصت لعمل حجرات وملاحق خدمية .

يعلو الإيوان خلف الرواق البحرى مقصورة من الخشب النقى خصصت كمصلى سيدات ، يصعد إليها من خلال سلم الحجرة المستديرة في الجدار الأيمن للإيوان ، يبلغ طولها 4م ، وتقوم على سقف حامل من براطيم ملساء ويتصدرها درابزين خشبى من واجة واحد ذو حشوات من خرط صليبى وبرامق قائمة وأسفله قاطوع سميك زين صدره وجانبيه بزخارف هندسية منفذة بطريقة السدايب .

المحراب : يتوسط جدار القبلة محراب حجرى مكسو بتربيعات من بلاطات خزفية متعددة الألوان وهى الزرقاء والحمراء والخضراء ، عبارة عن جوفة اتساعها 1م وعمقها 50سم تتوسط كتلة اتساعها 170سم معقودة بعقد مدبب ، ملئ تجويفه الطولى بأشرطة زخرفية خزفية تبدأ من أعلى بزخارف مراوح نخيلية تشغل تجويف العقد المدبب أسفلها إفريز أفقى على هيئة محاريب متجاورة معقودة بعقد نصف دائرى تعلوه ميمة .

ويعلو المحراب أسفل سقف المسجد مربع حجرى تزينه ميمات يتوسطه من الداخل رنك كتابى به أربع ميمات محورية تحصر بينها أربع زوايا ملئت بزخارف نباتية مورقة ، وزعت كتابات الرنك في ثلاثة شطبات أو أقسام تقرأ من أعلى لأسفل كما يلى : .

١) عز لمولانا الخديوى .
٢) عباس حلمى الثانى .
٣) أدام الله أيامه .

المنبر :

يقع على يسار المحراب منبر خشبى دقيق الصنعة له قاعدة مستطيلة قسمت جوانبها إلى حشوات مضلعة ومسدسة متصلة . .

القبة :

تقع القبة بملحقاتها في الجهة الشرقية حيث خصصت لها مساحة منفردة خلف جدار القبلة .

يتم الوصول إليها من داخل المسجد من خلال استطراق مستطيل ، يسقفه سقف خشبى من براطيم ويتوسط جداره الغربى دخلة اتساعها 140سم ، يقابلها في أقصى الطرف الشرقى فتحة باب مربع يفتح على إيوان القبلة ، ويغلق عليه مصراعان مطعمان بالفضة ورسوم بارزة لزخارف تركية قوامها زهرة اللاله والقرنفل محددة بأشرطة دقيقة لوريدات مفصصة ومتبب وصرر وجامات ويتبع هذا الباب نفس تشكيل الأبواب الداخلية للمسجد وله عتب مربع مكتوب عليه بخط الثلث ما نصه :

(يا من آتى متوسلا بنفيسة & أبشر بنيل القصد والاسعاد)

2) حجرة مجلس الحريم أمام القبة : يجاور القبة تجاه الشرق حجرة على هيئة شكل رباعى سقفها منخفض عن باقى سقف المسجد خصصت لصلاة واستراحة السيدات اللائى يزرن ضريح السيدة نفيسة رضى الله عنها ، فتح بجدارها الغربى فتحة باب مربع اتساعه 170سم يفتح على إيوان القبة مواجهًا لباب الاستطراق .

الأبواب المؤدية للقبة : يتوصل إلى القبة عن طريق عدة أبواب توزيعها كما يلى :

(أ) باب في الجدار الجنوبى البارز عن الواجهة الجنوبية الغربية ويفتح على الاستطراق الموصل للقبة ومكتوب عليه (**باب الوصول إلى مقام نفيسة - سر القبول ومهبط الرحمات**) .

(ب) باب في الجهة الجنوبية لجدار القبلة ويفتح أيضًا على الاستطراق ، ومكتوب عليه **(هذا الحمى كهف الضعيف وأهله - آل النبى فقف به مستنجدًا)**

(ت) باب في الطرف الشرقى لجدار القبلة ويفتح على إيوان القبة مباشرة ، ومكتوب عليه (**هذا مقام نفيسة العلم التى - برحابها تتنزل الرحمات**) .

(ث) باب في الجدار الشرقى لاستراحة السيدات .

الوصف المعمارى للقبة :

أولاً : من الداخل .

القبة مسقطها مربع طول ضلعه 5.40م فتح بضلعيها الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى فتحات لنوافذ محورية اتساع كل منها 180سم ، منهم فتحة باب مسدودة حاليًا في الضلع الشمالى الشرقى تفتح على مصلى السيدات ، اتساعها من الداخل 180سم ومن الخارج 190سم ، ويتوج هذه الفتحات عتب مربع يعلوه عقد موتور أصم تزينه تربيعات قاشانى ثم عقد موتور من سنجات مزررة بطراز الأبلق محددة جميعها بجفت ذى ميمات ، تعلو النوافذ السفلية نوافذ أخرى معقودة بعقد منكسر ملئ تجويفه الداخلى بتحويصات مشعة والإطار الخارجى من زخارف جصية هندسية منكسرة ، يكتنف كل نافذة عمودان حجريان ناقوسيان ، وغشيت جميع النوافذ بشبكة من الجص المفرغ والمخرم بزخارف نباتية وهندسية .

يتوسط الجدار الجنوبى الشرقى للقبة محراب رخامى اتساع جوفته 95سم ، وعمقه 50سم يكتنفه عمودان رخاميان تيجانهما مقرنصة ، يتوجه عقد مدبب مخموس ملئ تجويفه بضلوع مشعة أسفله شريط هندسى مجدول أسفله منطقة مستطيلة ضرب خيط لزخارف هندسية نجمية أسفلها شريط هندسى مجدول ، يكتنف عقد المحراب زاويتان ملئتا بزخارف نباتية مورقة محورة ، يعلو المحراب طراز كتابى مستطيل نصه {فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَاب} ، يتوج الطراز صدر مقرنص يعلوه صف حجرى لشرفات نباتية مورقة ثلاثية الفصوص .

ويتوسط المحراب دخلة عميقة اتساعها 2م يتوجها عقد مدبب محدد بجفت لاعب تكتنفه زاويتان ملئتا بزخارف نباتية مورقة ، يتوسط تجويف هذا العقد إطار مربع محدد بجفت ذى ميمات تتوسطه دائرة بها

رنك كتابى تزينه أربع ميمات محورية قسم إلى خمس شطبات كتبت بخط النسخ البارز تقرأ من أعلى لأسفل كما يلى :

١) هذا مقام العارفة بالله
٢) الست الطاهرة صاحبة الكرامات الظاهرة
٣) الحسيبة النسيبة السيدة نفيسة بنت الإمام حسن بن
٤) الإمام زيد بن الإمام حسن السبط بن الإمام
٥) على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

المقصورة حول الضريح : يتوسط أرضية القبة تركيبة رخامية مربعة طول ضلعها 3.25م تقوم عليها مقصورة من النحاس الأصفر ، قسمت أضلاعه بواسطة قوائم نحاسية إلى مناطق مستطيلة أفقية ورأسية مفرغة تتوسطها تشكيلات نباتية وهندسية تتنوع ما بين فروع عنب ومراوح نخيلية ونجوم ، يزين الصف العلوى منها نوافذ لخورنقات تقوم على أعمدة أسطوانية صغيرة ، يتوجها رفرف خشبى من إطارين من الشرافات النباتية ثلاثية الفصوص علوى وسفلى مقلوب ، يتوسط ضلعها الشمالى الغربى فتحة باب معقود تعلوه حشوة مستطيلة قسمت إلى أربع حشوات أخرى صغيرة كتب بكل منها بحر من الشعر تتضمن كتابة مؤرخة بحساب الجمل نصها :

مقصورة اتقنت لله صنعتها تستوجب الشكر عند الله والناس
تذيع همة منشيها مؤرخة من بعض طيب احسان لعباس
1266

وترجع هذه المقصورة إلى العمارة التى أجراها عباس باشا الأول إلى الضريح سنة 1266هـ / 1850م .
أما القبة من الخارج فتظهر من سطح المسجد مطلة مباشرة على قرافة السيدة نفيسة ، و تظهر مناطق الانتقال من الخارج على هيئة مثلث حجرى مقلوب متدرج أو مشطوف من ستة مستويات محدد بجفت ذى ميمات ، تغطى الرقبة خوذة قطاعها على هيئة عقد مدبب يخرج من مركزها سفود نحاس به أربع تفافيح تتدرج في الصغر لأعلى ويعلوها هلال ، ويزخر السطح الخارجى لها بزخارف دالية (زجزاجية) من تسعة صفوف تتسع من أعلى لأسفل ، يزين صفها السفلى رسوم مورقة ثلاثية الفصوص .
أما المئذنة : بنيت من الحجر ، وتعلو المدخل الرئيسى في الجهة الشمالية الشرقية ، وهى بذلك مقامة على فارغ ، وهي مملوكية الطراز ، وتمتاز بالثراء الزخرفي والمعمارى بين عناصرها ووحداتها المعمارية والزخرفية ، وباحتوائها على ثلاثة أشرطة كتابية ، وتتكون من قاعدة مربعة من مستويين يعلوها طابق مثمن يحمل شرفة مضلعة من 16 ضلع يعلوها طابق اسطوانى يحمل شرفة آذان مضلعة ثم بدن مستدير منخفض الارتفاع تعلوه رقبة أسطوانية تحمل أعلاها خوذة يخرج منها سفود نحاس به هلال .

جامع السيدة نفيسة : الوجهة الرئيسية

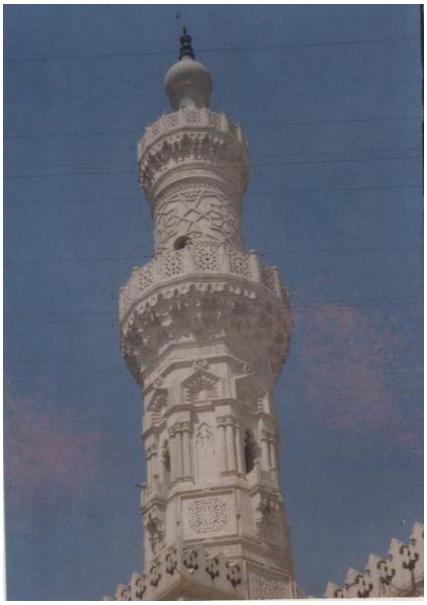

جامع السيدة نفيسة : المئذنة

جامع السيدة نفيسة : المحراب

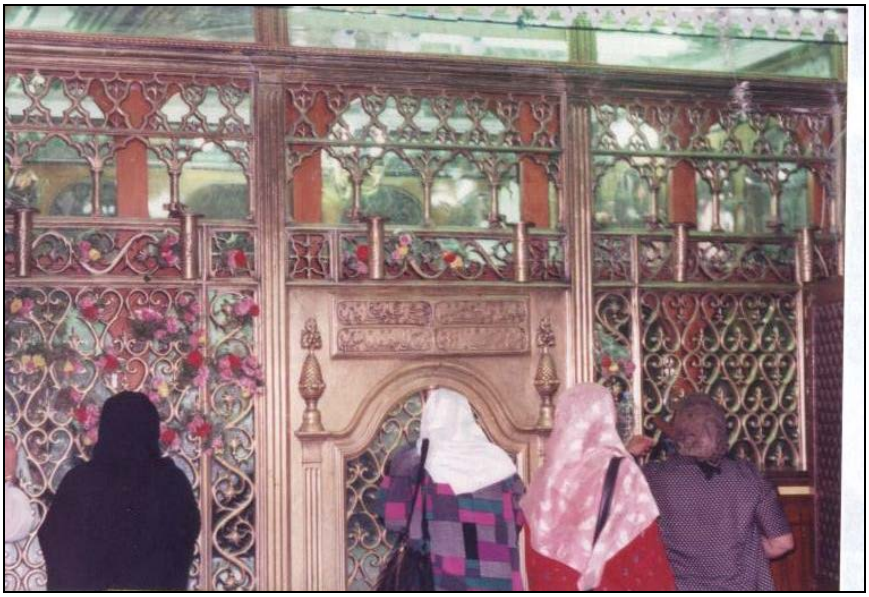

جامع السيدة نفيسة : المقصورة حول الضريح